

قراءات في التراث النفسي العربي

عدد 5

النفس الإنسانية

لدى علماء النفس العرب وعلماء النفس المسلمين

إعداد د. خالد بن إبراهيم الصبيح

2013



النفس الإنسانية

لدى علماء النفس الغربيين وعلماء النفس المسلمين

أ. د. خالد بن إبراهيم الصنيع

الفهرس

4	ملخص
5	مقدمة
5	وجهات نظر بعض العلماء الغربيين في النفس الإنسانية
6	(1) سجموند فرويد (Sigmund Freud) (1856 - 1939م)
8	(2) كارل يونج (Carl Jung) (1875 - 1961م)
9	(3) إبراهيم ماسلو (1908 - 1970م)
11	خلاصة
12	وجهات نظر أربعة من علماء المسلمين
12	(1) أبوحامد الغزالي: (450 505هـ):
14	(2) ابن تيمية: (660 728هـ)
17	(3) ابن قيم الجوزية: (691 751هـ)
20	(4) محمد قطب: (1919م معاصر)
23	خلاصة
23	المقارنة بين الخلاصتين
25	المراجع
27	مختارات شبكة العلوم النفسية العربية

النفس الإنسانية لدى علماء النفس الغربيين وعلماء النفس المسلمين

ملخص

النفس الإنسانية محور رئيس لكل الباحثين في كافة العلوم، وخاصة الباحثون في العلوم الاجتماعية، لأنها أهم ما في الإنسان، ومعرفتها البداية الصحيحة لمعرفة الإنسان، وكيف يجب أن تسير حياته في هذه الدنيا وما بعدها؟. وهذا الاهتمام بدأ مع نزول آدم عليه السلام على الأرض، وبدأ انتشار الخليقة في المعمورة، حيث كان الحديث عن هذه النفس في ما نزل على آدم عليه السلام من توجيهات رب العالمين مما يساعد على توجيه النفس نحو ما يحقق لها الخير والسعادة في الدارين. ثم لما انحراف الناس عن تعاليم الأديان بدأ البشر يرسمون للنفس ملامح تختص بمحاولة معرفتها اعتماداً على الجهد البشر المنقطع على الهدي الرباني، ومن ذلك ما ورد عن فلاسفة اليونان والأغريق، ونقله أهل الفلسفة عنهم إلى يومنا الحاضر. ثم جاء علماء النفس منذ قرابة قرن ونصف وتناولوا النفس الإنسانية بنفس المنظور، وأضيف إليه في القرن العشرين محاولات تجريبية مختبرية سعياً وراء اثباتات معلمية لما لديهم من تصورات نظرية عن هذه النفس وتركيباتها وكيفية التعامل معها، لكنها لم تصل إلى نتائج يمكن الوثوق بها والركون إليها، لأنها ضلت دائرة في محيط الاجتهاد المبني على طروحات فلاسفة اليونان والأغريق ولم تقدم شيئاً كثيراً يختلف عما قدموه. ولكن الوضع اختلف عندما جاءت رسالة الإسلام الخاتمة للرسالات حيث حوت كل ما يحتاجه الإنسان لحياته الدنيا وما يسعده في آخرته. ومن ذلك ما يمكن أن يفيد في ما يتعلق بالنفس الإنسانية. لقد كان لعلماء التراث الإسلامي دور مهم في تناول النفس الإنسانية وكيفية التعرف عليها وأحوالها والتعامل معها في جميع حالاتها السوية وغير السوية.

وهذه الورقة البحثية محاولة لرسم صورة النفس الإنسانية بطريقة مقارنة لدى بعض علماء النفس الغربيين وبعض علماء المسلمين بطريقة النماذج. بحيث اختار الباحث ثلاثة من علماء النفس وهم: سجموند فرويد (Sigmund Freud) وكارل يونج (Carl Jung) وإبراهام ماسلو (Abraham Maslow). ومن علماء المسلمين تم اختيار كل من: أبو حامد الغزالي (505هـ)، وابن تيمية (728هـ)، وابن قيم الجوزية (751هـ)، ومحمد قطب.

وقام الباحث بعرض نماذج من كتابات علماء النفس الغربيين والخروج بخلاصة حول آراءهم في النفس الإنسانية. ثم عرض نماذج من كتابات علماء المسلمين والخروج بخلاصة حول آراءهم في النفس الإنسانية، وأخيراً تم تناول مقارنة بين الخلاصتين.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

الإنسان هو المخلوق المكرم من لدى الله سبحانه وتعالى عندما يقوم بشريعة الله في أرضه. والكتابة عنه تحفها كثير من الصعوبات والمشاق، بناءً على تعدد جوانب الإنسان وعظم مسؤولياته عن ذاته ومن حوله من البشر وسائر المخلوقات. والنفس الإنسانية هي محرك الإنسان ودافعه نحو العمل والسلوك أن خيراً فخير وإن شراً فشر.

النفس الإنسانية محور رئيس لكل الباحثين في كافة العلوم، وخاصة الباحثون في العلوم الاجتماعية، لأنها أهم ما في الإنسان، ومعرفتها البداية الصحيحة لمعرفة الإنسان، وكيف يجب أن تسير حياته في هذه الدنيا وما بعدها؟. وهذا الاهتمام بدأ مع نزول آدم عليه السلام على الأرض، وبدأ انتشار الخليفة في المعمورة، حيث كان الحديث عن هذه النفس في ما نزل على آدم عليه السلام من توجيهات رب العالمين مما يساعد على توجيه النفس نحو ما يحقق لها الخير والسعادة في الدارين. ثم لما انحراف الناس عن تعاليم الأديان بدأ البشر يرسمون للنفس ملامح تختص بمحاولة معرفتها اعتماداً على الجهد البشر المنقطع على الهدي الرباني، ومن ذلك ما ورد عن فلاسفة اليونان والأغريق، ونقله أهل الفلسفة عنهم إلى يومنا الحاضر. ثم جاء علماء النفس منذ قرابة قرن ونصف وتناولوا النفس الإنسانية بنفس المنظور، وأضيف إليه في القرن العشرين محاولات تجريبية مختبرية سعياً وراء اثباتات علمية لما لديهم من تصورات نظرية عن هذه النفس وتركيباتها وكيفية التعامل معها، لكنها لم تصل إلى نتائج يمكن الوثوق بها والركون إليها، لأنها ضلت دائرة في محيط الاجتهاد المبني على طروحات فلاسفة اليونان والأغريق ولم تقدم شيئاً كثيراً يختلف عما قنموه. ولكن الوضع اختلف عندما جاءت رسالة الإسلام الخاتمة للرسالات حيث حوت كل ما يحتاجه الإنسان لحياته الدنيا وما يسعده في آخرته. ومن ذلك ما يمكن أن يفيد في ما يتعلق بالنفس الإنسانية. لقد كان لعلماء المسلمين دور مهم في تناول النفس الإنسانية وكيفية التعرف عليها وأحوالها والتعامل معها في جميع حالاتها السوية وغير السوية.

وجهات نظر بعض العلماء الغربيين في النفس الإنسانية

سنعرض فيما يلي نماذج من كتابات ثلاثة من علماء النفس وهم: سجموند فرويد (Sigmund Freud) ووكارل يونج (Carl Jung) وإبراهام ماسلو (Abraham Maslow). وتناولهم للنفس الإنسانية فيما يأتي:

1) سجموند فرويد (Sigmund Freud) (1856 - 1939م)

زعيم مدرسة التحليل النفسي، وقد قدم أفكاره عن النفس الإنسانية في العديد من كتبه وتركزت على المفاهيم التالية: الشعور وما قبل الشعور واللاشعور، ثم التقسيمات المرتبطة بها وهي الهو (مركز الغرائز) والأنا، والأنا الأعلى. ونقل شيئاً من كتابه (الأنا والهو) حيث يقول:

ينشأ الأنا بوضوح من ذلك الجزء الذي يكون نواته ألاً وهو جهاز ((الإدراك الحسي))، ثم يبدأ في اشتغال ما قبل الشعور الذي يجاور الآثار الباقية في الذاكرة. ولكن الأنا كما علمنا لا شعوري أيضاً.

... بأن نطلق اسم ((الهو)) على الجزء الآخر من العقل الذي يمتد إليه هذا الكيان والذي يتصرف كأنه لا شعوري.

... سننظر الآن إلى الفرد باعتبار أنه ((هو)) نفسي مجهول لا شعوري، ويوجد على سطحه ((الأنا)) الذي نما من نواته جهاز الإدراك الحسي. وإذا حاولنا أن نتصور ذلك مرسوماً لقلنا إن الأنا لا يحيط بجميع الهو، ولكنه يحيط فقط بالقدر الذي يسمح بتكوين جهاز الإدراك الحسي على سطحه. ويشبه ذلك تقريباً وجود الطبقة الجرثومية على البيضة. وليس الأنا منفصلاً عن الهو تماماً تمام الانفصال، وإنما يندمج جزؤه الأسفل في الهو. ولكن الشيء المكبوت مندمج أيضاً في الهو، وهو في الحقيقة جزء منه. والمكبوت شيء قد فصلته عن الأنا المقاومة التي يبذلها الكبت، وهو يستطيع أن يتصل بالأنا عن طريق الهو.

... ونستطيع أن نرى بسهولة أن الأنا هو ذلك القسم من الهو الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيراً مباشراً بواسطة جهاز الإدراك الحسي - الشعور: أي أن الأنا هو عبارة عن امتداد لعملية تمايز السطح. وفضلاً عن ذلك فإن الأنا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الهو وما فيه من نزعات، ويحاول أن يضع مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة الذي يسيطر على الهو. ويلعب الإدراك الحسي في الأنا نفس الدور الذي تلعبه الغريزة في الهو. ويمثل الأنا ما نسميه الحكمة وسلامة العقل، على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات.

... وتوضح أهمية الوظيفة التي يقوم بها الأنا في توليه الإشراف عادة على منافذ الحركة، وهو في علاقته بالهو مثل رجل على ظهر جواد يحاول أن يتغلب على قوة الجواد العظيمة. ويتلخص الفرق بين الحالتين في أن راكب الجواد يحاول أن يفعل ذلك بقوة الشخصية، بينما يستعين الأنا في ذلك بقوى يستمدّها من مصدر آخر. ومن الممكن أن نتتبع هذا المثال أكثر من ذلك فنقول إن راكب الجواد غالباً ما يضطر، إذا كان حريصاً على ألا يفقد جواده، إلى أن يقوده إلى حيث يريد الجواد أن يذهب. وكذلك يقوم الأنا بنفس الطريقة بتنفيذ رغبات الهو دائماً كأنها رغباته الخاصة.

... لقد أشرنا في موضع آخر إلى الاعتبارات التي جعلتنا نفترض وجود مرتبة متميزة في الأنا يمكن أن نسميها الأنا المثالي أو الأنا الأعلى. ولا تزال هذه الاعتبارات صحيحة حتى الآن. إن الأمر الجديد الذي يحتاج الآن إلى تفسير هو أن هذا القسم من الأنا أقل ارتباطاً بالشعور من بقية أقسام الأنا الأخرى.

... وإذا نظرنا مرة أخرى إلى نشأة الأنا الأعلى كما وصفناها سابقاً، لأدركنا أنه يحدث نتيجة عاملين هامين جداً، أحدهما عامل بيولوجي والآخر عامل تاريخي: أي أنه يحدث نتيجة الفترة الطويلة التي يقضيها الإنسان في حالة ضعف واعتماد على الغير أثناء طفولته، ونتيجة عقدة أوديب التي بينا أن لكتبها علاقة بظهور مرحلة الكمون التي تعطل نمو الليبدو.

... وحقاً إن الأنا الأعلى بقيامه دائماً بتمثيل سلطة الوالدين إنما يعمل على إبقاء وجود العوامل التي يدين لها بوجوده (فرويد، 1982م، ص 41-59).

وهنا يتضح لنا أن فرويد يرى إن للنفس الإنسانية ثلاثة أجزاء هي:

1- الهو: وهو مركز الغرائز في الإنسان، كالجنس والعدوان، وتحتاج تدفع طلباً للإشباع دون مراعاة للموانع من عادات وتقاليد وقيم وغيرها.

2- الأنا: وهو الجانب الشعوري المباشر للحياة الواقعية، وهو مرتبط بالهو ويسعى الهو للإشباع من خلال الأنا، ولكن لا يتحقق له ذلك فتحصل حالة الكبت التي يتسبب بها المركب الثالث.

3- الأنا الأعلى: وهو مستوى يأتي من سلطة الوالدين والعادات والتقاليد التي تصارع ما يأتي من الهو في مستوى الأنا، ويتحقق لها النصر فتحدث حالة الكبت.

وهذا التركيب الثلاثي المتصارع للنفس لم تقم الأدلة العلمية عليه، ولذا لم يقبله كثير من علماء النفس من عصر فرويد إلى يومنا الحاضر.

وشبه فرويد دراسة للنفس الإنسانية بدراسة عالم الطبيعة لموضوعه، من حيث دراسته ظواهر دون القدرة إلى الوصول إلى حقائق ما يتم دراسته، فيقول:

لقد افترضنا وجود جهاز نفسي ممتد في المكان، ومهيئ بطريقة خاصة، ومتأثر في نموه بمقتضيات الحياة، وتصدر عن هذا الجهاز الظواهر الشعورية من نقطة خاصة فقط، وتحت ظروف معينة. وقد ساعدنا هذا الفرض على إنشاء علم النفس على أسس شبيهة بالأسس التي أنشئ عليها أي علم آخر كعلم الطبيعة مثلاً. فالمشكلة في علمنا شبيهة بالمشكلة في العلوم الأخرى. فمن صفات (أي كفاءات) الشئ الذي نبحثه، وهي الصفات التي تؤثر مباشرة في حواسنا، يجب علينا أن نكتشف شيئاً يكون أكثر استقلالاً عن قدرات الإدراك الخاصة التي في

حواسنا، ويكون أقرب ما يمكن إلى حقيقة الشيء. وليس هناك أمل في إمكاننا الوصول إلى حقيقة الأشياء، إذ أنه من الواضح أن كل شيء جديد نستنتجه يجب أن نترجمه إلى لغة إدراكنا الحسية التي يستحيل علينا أن نتخلص منها مطلقاً (فرويد، 1986م، ص122).

ويبدو أن مقولة فرويد هذه يصعب القبول بها بل يسهل ردها لسبب بسيط هو اختلاف موضوع الدراسة، فعلم الطبيعة تدرس المادة بينما علم النفس فيدرس الإنسان والسلوك الإنساني، ومن هنا لا يلزم بأن نحول كل ما ندرسه إلى جانب حسي بل لدى الإنسان قدرة على فهم وتناول ما هو غير حسي ومعنوي، وبهذا نستطيع أن نقرب كثيراً من دراسة الإنسان من خلال تلك القدرة التي وهبها الله سبحانه وتعالى لنا.

2) كارل يونج (Carl Jung) (1875-1961م)

يعتبر كارل يونج من زعماء مدرسة التحليل النفسي، وقد درس على فرويد ثم زاماله، ولكنه قدم طروحات في التحليل النفسي تختلف في العديد من مناحيها عما طرحه فرويد.

في كتاب ليونج يؤكد أهمية الدين للإنسان ويرى أنه جزء من البناء النفسي للشخصية الإنسانية لا غنى عنه ، فيقول : (إنه لو اوضح في أي علم نفس يمس البناء النفسي للشخصية الإنسانية لا يمكنه إغفال حقيقة أن الدين ليس فقط ظاهرة نفسية اجتماعية تاريخية ، ولكنه كذلك يعتبر شيئاً مهماً للذات الشخصية لعدد كبير جداً من الناس)

(Jung, P.5, 1981).

ويقدم الحفني وصفاً لآراء يونج حول النفس فيقول:

عندما يذكر يونج النفس فإنه يعني بها الشخصية ككل، فأما الأنا ego فهو بمثابة العقل الشعوري عند فرويد، وتكوين الأنا يتأتي من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات، وهو المسئول عن وعينا بهويتنا وباستمرار هذا الوعي بالهوية. وأما اللاشعور الشخصي فيشبه ما قبل الشعور عند فرويد، فهو وإن كان من اللاشعور إلا أن ما يلجأ إليه من الخبرات هو خبراتنا الشخصية الشعورية التي نتناساها بحكم تهاوتها أو تهافت ما يتخلف منها من انطباعات، فإذا ذكرنا بها ذكرناها دون جهد.

... واللاشعور الجمعي collective unconscious هو المقابل للشعور الشخصي، ويطلق عليه لذلك اسم اللاشعور اللاشخصي، ومفهومه عند يونج يجعله من أكثر ما قال به من مفاهيم تعرضاً للجدال والخلاف، ووصفه له بالجمعي لأنه مخزن الذكريات والأفكار الجمعية أي التي كانت لنا لا بصفتنا

الشخصية مثل اللاشعور الشخصي، ولكن بصفتل كجنس إنساني، بل وبصفتنا العامة جداً كجنس حيواني في الحقبلة التي كنا فيها أقرب إلى الحيوان منا إلى الإنسان، وخبراته أو الانطباعات التي تخلفت فيه وتراكت بتكرار حدوثها عبر الأجيال وكانت مشاعاً بين كل البشر، وكلنا لدينا هذا اللاشعور الجمعي وإن تفاوت ما لدينا منه من شخص إلى آخر، وليس تشابهنا فيه إلا لأن العقل فينا متشابه وتطوره عندنا كان تطوراً مشتركاً. وهذا اللاشعور الجمعي بمثابة استعدادات نتهيا للتجاوب مع العالم ومواقفه.

... واللاشعور الجمعي بوصفه الأساس العنصري الموروث يقوم عليه البناء النفسي كله، وهو خبرات الأجيال وحكمة القرون، ويستقي منه الأنا ويصدر عنه، فإذا حدث أن انقطع ما بينهما اضطرب الأنا واضطربت بالتالي كل العمليات الشعورية فتكون الهذاءات والهواجس. ويطلق يونج على هذه الاستعدادات الكامنة فينا اسم الأنماط الأولية، وهي أنماط سلوك بدائية تكون فينا أساساً للسلوك في المواقف التي تستدعيها والتي بها مشابهة لمواقف الإنسان الأول.

... والأنماط الأولية كثيرة في اللاشعور الجمعي بعدد خبرات الإنسان التي تتكرر معه عبر الأجيال، ونلاحظ بشدة أنماط الموت والسحر والبطل والطفل والمرأة والشيطان الغاوي والحكيم والشيخ والأرض والأم. والنمط نسق دينامي يعمل مستقلاً ومتفاعلاً مع الأنماط الأخرى وأنظمة الجهاز النفس المختلفة.

... وأما الذات فهي المركز الذي يجمع كل أنظمة النفس، وهي غاية الإنسان من حياته وسعيه فيها، وكأي من الأنماط الأولية تحرك السلوك وتدفعه نحو الكلية والشمولية، والذات هي كمال الشخصية، وهي أعلى مراتب الوجود النفسي، ولا يبلغها الفرد إلا بعد أن تنمو كل نواحي نفسه نمواً تتكامل به الذات، وعندئذ ينتقل مركز الشخصية من الأنا إلى الذات.(الحفني، ب.ت، ص413-417).

ويبدو في آراء يونج توافقه جزئياً مع فرويد في تقسيم النفس إلى الشعور وهي الأنا وما قبل الشعور، واللاشعور الذي يختلف فيه مع فرويد عندما قسمه إلى قسمين: اللاشعور الشخصي، واللاشعور الجمعي. وأخيراً أكد على مفهوم الذات وأنها مرحلة اكتمال نمو النفس الإنسانية. وأكد على أهمية الدين للذات الإنسانية.

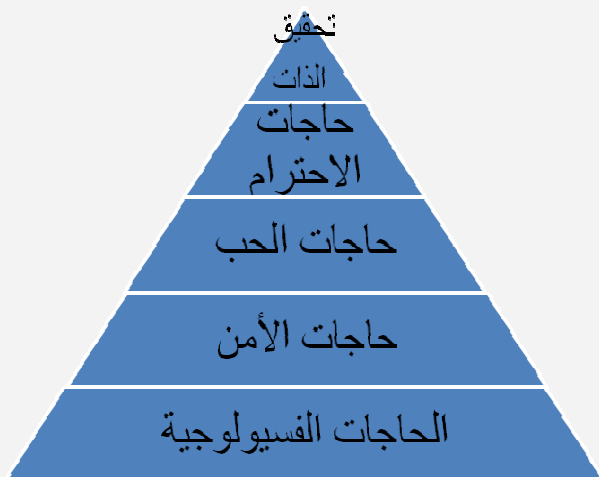
3) إبراهيم ماسلو (1908 - 1970م)

وهو أبرز علماء المدرسة الإنسانية في علم النفس، ونبداً بتأكيد ماسلو على دراسة الروح الإنسانية الموجودة في عمق التركيب الإنساني ودورها الإيجابي في صحته النفسية كما عرض ذلك العلماء في البلدان الشرقية مهبط الديانات في العالم، حيث يقول :

(حينما ندرس الشخصية في العمق بدلاً من السطح، بأنه بقدر ما ننفذ أعمق، بقدر ما نجد عمومية أكثر. ففي المستويات الأعمق لدى الناس يبدو في تشابه أكثر مما يختلفون. ولذا إذا استطاع الفرد أن يصل إلى هذه الأعماق داخل نفسه، عادة بمساعدة المعالج، يكتشف ليس ذاته فحسب ولكن أيضاً الروح الإنسانية الكاملة، ويعرف هذا دائماً علماء النفس غير الأكاديميين في الشرق، ونحن في الغرب ينبغي أن نتعلمه كذلك) (في: سيفرين، ص52، 1978م).

وربما تظهر نظرة ماسلو للنفس الإنسانية من خلال هرمه الخماسي للحاجات الإنسانية، والذي يظهر في الشكل رقم (1).

شكل رقم (1) هرم ماسلو للحاجات الإنسانية



يقول عنه دافيدوف:

أفترح عالم النفس الإنساني إبراهيم ماسلو أن الإنسان يولد ولديه خمسة أنظمة من الحاجات مرتبة في شكل هرمي. وأن البشر يظلون طوال حياتهم (حيوانات طالبة) Wanting animals. فعندما تتحقق مجموعة واحدة من الحاجات تحل محلها مجموعة أخرى جديدة. فنحن نشق طريقنا خلال الأنظمة المختلفة بنفس الترتيب المشار إليه وفقاً لماسلو، حيث نبدأ بالحاجات الفسيولوجية، أي الحاجة إلى الطعام والماء والأكسجين والنوم والجنس والحماية من درجات الحرارة زيادة ونقصاً، والاستثارة الحسية والنشاط. وتلك حاجات - التي تمثل متطلبات مجرد البقاء على قيد الحياة - هي أكثر مجموعات الحاجات قوة، أو أنها تقرض وجودها أكثر من باقي الحاجات. حيث يجب إشباعها بدرجة ما قبل أن تتبعث الحاجات الأخرى. وإذا بقيت حاجة واحدة منها بدون تحقيق

إشباع، فإنها قد تسود وتسيطر على جميع الحاجات المتبقية. ... ونظير الحاجة إلى الشعور بالحماية، البعد عن الخطر، والطمأنينة والأمن بمجرد إشباع وإرضاء الحاجات الفسيولوجية. حيث يرغب الأطفال في طريقة محددة روتينية يمكن الاعتماد عليها في حياتهم، بينما يود الكبار الحصول على وظائف مستقرة، وتكوين المدخرات، والتأمينات المختلفة. وقد يقرأ الأفراد الديانات ووجهات النظر الفلسفية لتنظيم حياتهم واعطائها الاحساس بالأمن. وبمجرد تحقيق حاجات الأمن، تظهر الحاجة إلى الحب، الألفة، والانتماء. حيث يسعى الأفراد إلى الحب وإلى أن يكونوا محبوبين. ويرى ماسلو أن الحياة الحضارية المتمدنة موحشة. وأن تفكك الروابط التقليدية للأسرة، اختفاء التفاعل الاجتماعي المباشر (وجها لوجه) المميز لأهل القرى، وفقد الأنشطة اليومية في المدن الكبرى لطابعها الخاص الشخصي، يتداخل كله مع إشباع حاجات الحب، التي إذا اشبعت بشكل ما، تسود حاجة الفرد لاحترام نفسه واحترام الآخرين له. حيث يرغب الناس في الشعور بقيمتهم في المجتمع، والعمل، والمنزل. أيضاً يريدون أن يحترموا أنفسهم. وفي نهاية الأمر، عند تأمين جميع الحاجات الأخرى، يسعى الأفراد نحو تحقيق ذاتهم، وبجاهدون لتحقيق قدراتهم الكامنة وتحقيق مثلهم العليا)(دافيدوف، 1980م، ص440-441).

ويبدو من طرح ماسلو تركيزه على الحاجات الإنسانية التي لا بد لهم منها، ولكنها في الحقيقة تفت على إشباع الأمور الدنيوية في حياة الإنسان، ولا ترتقي بنفسه إلى ما هو أعلى من أمور الدنيا، وهي أمور الآخرة والأعمال الروحية التي تسمو بروح الإنسان في دنياه شوقاً إلى آخرته.

خلاصة

من خلال النماذج التي عرضها للعلماء الغربيين الثلاثة سجموند فرويد وكارل يونغ وإبراهام ماسلو يتبين ما يلي في نظرتهم للنفس الإنسانية:

1- التركيز على الجانب الغرائزي في الإنسان وأعطاه أهمية كبيرة في مجال نشاط الإنسان. وهذا جلي في طروحات فرويد وإبراهام للدوافع الغريزة التي محلها (الهُو) وسيطرتها على السلوك، بل جعلها تبدأ في الغريزة الجنسية مع الطفل الرضيع وفي سنواته الثلاث الأولى. كما أن ماسلو جعل الحاجات الفسيولوجية هي أهم الحاجات وأولها بالتلبية والإشباع بدون تردد أو تأخير، وهذا لا يسندة الواقع حيث نجد في سلوك الناس القدرة على تأخير إشباع الحاجات الفسيولوجية، كما في الصيام لدى المسلمين.

2- تغليب الجوانب الدنيوية في النظر للنفس الإنسانية، وجعلها ما يتعلق بالدنيا هو غاية ما تصبو إليه النفس الإنسانية، كما هو واضح في ما نقلناه عن العلماء الغربيين الثلاثة.

3- تخييب الجانب الديني والروحي في الإنسان، خصوصاً لدى فرويد وماسلو من خلال طروحاتهم. وإن كان يونج أشار إلى أهمية الجانب الديني للإنسان والنفس الإنسانية.

وجهات نظر أربعة من علماء المسلمين

نعرض فيما يلي وجهات نظر أربعة من علماء المسلمين وهم كل من : أبو حامد الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومحمد قطب في النفس الإنسانية وسلوكها.

1) أبو حامد الغزالي: (450-505هـ):

هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد. ولد في الطابران (من مدن طوس بخراسان) عام 450هـ. في عصر انتشرت فيه الفتن الدينية والسياسية، في بداية حياته تتلمذ على عدد من المتصوفين في طوس، وعند بلوغه سن العشرين بدأ الترحل إلى جرجان ثم نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. وأخيراً عاد إلى بلده طوس وأخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء والصوفية حتى وفاته. وقد تنقل بين الصوفية والفلسفة ثم العناية بالسنة، وقيل أنه توفي وصحيح البخاري على صدره. له مؤلفات كثيرة، منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمنقذ من الضلال، والتبر المسبوك في نصائح الملوك، والقسطاس المستقيم، وكيمياء السعادة، ومنهاج العابدين، توفي بطوس سنة 505هـ.

يعتبر كتاب إحياء علوم الدين أشهر كتب أبو حامد الغزالي، وفيه تصور لكل ما يحتاجه الإنسان والنفس الإنسانية في هذه الحياة، في أربعة أرباع هي العبادات والعبادات والمهلكات والمنجيات فيقول:

(ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب: كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب

آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكير، وكتاب ذكر الموت (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص 3-2).

وهذه العناوين شملت كل ما يحتاجه الإنسان ليسيير في هذه الحياة الدنيا على هدى وصلاح ويفوز بالآخرة بالجنة والنعيم، متى ما طبق ما ورد في هذا الكتاب.

ويتناول أبو حامد الغزالي القلب والروح والنفس والعقل بشرح وتفصيل طويل، ويمكن الخروج بخلاصته فيما يلي:

(القلب يشير إلى أعماق الأفكار وأبعدها غوراً في طبيعة الإنسان وهو المسئول تجاه الله وهو الذي يخاطب ويحاسب، وتبدو الشهوات غريبة عن هذا القلب، وعلاقته بالقلب الجسماني علاقة معنوية لا مادية.

أما الروح فإنها تدل أيضاً على هذه اللطيفة الإلهية، ولها بالجسم تعلق بواسطة الروح الحيواني، وهي المرجع الأعلى للمعرفة والمسئولة عن ومضات الرؤية والكشف، عندما يتحرر الإنسان من كل شعور محسوس.

والنفس مرتبطة بالتنفس وبالذات والشهوات الدنيوية وتكون على ثلاثة أحوال: مطمئنة أو لوامة أو أمارة.

أما العقل فإنه يدل على نوع المعرفة وعلى المستوى العقلي لتطور الإنسان (العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص66).

ونختم بتناول أبو حامد الغزالي لسلوك إنساني رفيع وهو العدل والإحسان إلى الخلق حيث يقول:

(وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال. والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من الغفلاء من قنع من الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتتاب الظلم ويدع أبواب الإحسان، وقد قال الله ((وأحسن كما أحسن الله إليك)) وقال عز وجل ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان)) وقال سبحانه ((إن رحمت الله

قريب من المحسنين)) وتعني بالإحسان: فعل ما ينتفع به المعامل، وهو غير واجب عليه، ولكنه تفضل منه، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم)) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص79).

يحسب للغزالي الدخول في تفاصيل تسعى للتعرف على مكونات هذه النفس ودور العبادات والعادات في تركيتها، ومكارم النفس الإنسانية كالعدل والإحسان من خلال نصوص القرآن الكريم. وكذلك وضح التأكيد على البعد الأخروي وأثره على الإنسان والنفس الإنسانية، وهذه ميزة لا نجدها لدى الباحثين الغربيين عندما يتناولون النفس الإنسانية.

(2) أبـن تـيـمـية : (660-728هـ)

هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس بن تيمية . ولد في مدينة حران عام 661هـ . ينحدر من عائلة علم. غادر ابن تيمية مع والديه وأخوته مدينة حران عام 667هـ هرباً من الهجمات المغولية ، واستقرت الأسرة في مدينة دمشق ، حيث تسلم والده مشيخة المدرسة السكرية ، وفيها بدأ الطفل ابن تيمية دراسته واشتهر بقوة حفظه وذكائه . فقد حفظ القرآن الكريم والحديث وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل عدة مرات ، ثم أخذ ينتقل بين مختلف شيوخ الحديث حتى روى أنه جلس إلى حوالي مائتين من حفاظ الحديث. بدأ ابن تيمية عمله في التدريس عام 683هـ بدار الحديث السكرية بدمشق نيابة عن والده وهو في سن 22 سنة . كما تسلم ابن تيمية منصب التدريس في أكبر مدرسة حنبلية في القاهرة لثلاث سنوات خلال الأعوام 709 - 712هـ ثم عاد إلى دمشق ليعمل في التدريس بقية حياته فيها. وقد تميز ابن تيمية بصدور أفكاره وتقافته عن مؤهلات متميزة تجاوز بها حدود الانتماء المذهبي إلى دائرة الانتماء الإسلامي الواسع الذي يضم في دائرته الأئمة والمدارس الفكرية ، وارتقى إلى مرتبة الاجتهاد والاعتماد المباشر على القرآن الكريم والسنة النبوية وأثار السلف الصالح . وقد لقي في سبيل دعوته الإصلاحية المشاق والعذاب حيث أدخل السجن ست مرات على فترات متقطعة بلغ مجموعها ست سنوات في الفترة الواقعة بين عامي 693 - 728هـ . وآخر مرة سجن فيها كان في 16 شعبان عام 726هـ وذلك بسبب مهاجمة ابن تيمية في فترة سابقة (710هـ) زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء . وقد توفي رحمه الله في سجنه في 20 شوال عام 728هـ رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

يبين أبـن تـيـمـية أن الإيمان للإنسان يقيه ويزيل عن نفسه الشبهات والشهوات فيقول:

(وكذلك ما في القلب من الإيمان وعبادة الله سبحانه وتعالى [يحفظ] بأشباهه بما يقوي الإيمان والعبادة ، وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات

والشهوات أزيل ذلك بضده ، ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة ، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلا لنقص إيمانه ((ابن تيمية، تزكية النفس، ص53).

يتناول السعادة للإنسان وللنفس الإنسانية فيقول:

(والله سبحانه وتعالى قد تفضل على بني آدم بأمرين هما أصل السعادة ، أحدهما : أن كل مولود يولد على الفطرة ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه . كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : أقرأوا إن شئتم)) فطرة الله التي فطر الناس عليها)) قال تعالى : ((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)) ... فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقره لله بالإلهية ، محبة ، تعبه ، لا تشرك به شيئاً . ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الأوس والجن بما يوصي بعضهم إلى بعض من الباطل . قال تعالى : ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)) ... والثاني : أن الله تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم ، وبما أنزل إليهم من الكتب ، وأرسل إليهم من الرسل . قال تعالى : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)) وقال تعالى : ((الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان)) وقال تعالى : ((سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)) وقال تعالى : ((وهديناه النجدين)) .

ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبه له . وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم ، ويمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والأخرة ، وجعل في فطرته محبة لذلك. لكن قد يعرض الإنسان بجاهليته وغفلته عن طلب ما ينفعه . وكونه لا يطلب ذلك ، ولا يريده : أمر عدمي ، ولا يضاف إلى الله تعالى . فلا يضاف إلى الله : لا عدم علمه بالحق ، ولا عدم إرادته للخير((ابن تيمية، الحسنة والسنية، ص 54-56).

ويتناول ابن تيمية السعادة والشقاوة للنفس الإنسانية فيقول:

(في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال : ((كنا في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس ومعه مخصرة فجعل ينكت بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال : ما من نفس منفوسة إلا وقد كتبت مكانها من النار أو الجنة ، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة . قال : فقال رجل من القوم : يا نبي الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلى

السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة ليكون إلى الشقاوة . قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . أما أهل السعادة فييسرون للسعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة . ثم قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)) ... فبين صلى الله عليه وآله وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة ، وشقاوة هذا بالأعمال السيئة ؛ فإنه سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هي عليه ، وكذلك يكتبها ، فهو يعلم أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة ، والشقي يشقى بالأعمال السيئة ، فمن كان سعيداً يبسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة ؛ ومن كان شقياً يبسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة ؛ وكلاهما ميسر لما خلق له ، وهو ما يصير إليه من مشيئة الله العامة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى : ((ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)) (ابن تيمية، التحفة العراقية في أعمال القلوب، ص 30-31).

ويعرض ابن تيمية قوى النفس الإنسانية فيقول:

(إن قوى الأفعال في النفس إما جذب وإما دفع ، فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة وجنسها : من المحبة والإرادة ونحو ذلك ، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها : من البغض والكراهة ، وهذه القوة باعتبار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب ، وباعتبار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة ... وباعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني ؛ وهم العرب والروم والفرس . فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية ، وهم سكان وسط الأرض طولا وعرضا ، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع . فغلب على العرب القوة العقلية المنطقية ، واشتق اسمها من وضعها فقبل لهم : عرب : من الأعراب ، وهو البيان والإظهار ، وذلك خاصة القوة المنطقية . وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما ، واشتق اسمها من ذلك فقبل لهم الروم ، فإنه يقال : رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته . وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والسياسة ، واشتق اسمها من ذلك ، فقبل فرس ، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه . ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبية على الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها ؛ ولهذا كانت العرب أفضل الأمم ، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع ، وتليها الروم)) (مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد 15، ص 430-432).

ونختم م ن كلام ابن تيمية بأثر الشيطان على الإنسان فيقول:

(والقلوب فيها وسواس النفس ، والشيطان يأمر بالشهوات والشبهات ما يفسد عليه طيب عيشها ، فمن كان محباً لغير الله فهو معذب في الدنيا والآخرة ؛ إن نال مراده عذب به ؛ وإن لم ينله فهو في العذاب والحسرة والحزن)) (مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد 28، ص 31-32)

وبيين كيفية التخلص من الشيطان فيقول:

(إن إخلاص الدين لله : يمنع من تسلط الشيطان ، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب . كما قال تعالى : ((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . إنه من عبادنا المخلصين)) (يوسف : 24) . فإذا أخلص العبد لربه الدين : كان هذا مانعا له من فعل ضد ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك ، وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه . عوقب على ذلك ، وكان من عقابه : تسلط الشيطان عليه ، حتى يزين له فعل السيئات ، وكان إلهامه لفجوره : عقوبة له على كونه لم يتق الله) (ابن تيمية، الحسنة والسيئة، ص 77).

وبيين أثر ذكر الله في علاج الوسواس فيقول:

(والشيطان وسواس خناس ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، فإذا غفل عن ذكره وسوس ، فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ، ومن ذكر الله تعالى : تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم) (مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد4، ص 34).

تميز تناول ابن تيمية للنفس الإنسانية بالتركيز على الإيمان ومعرفة الحق وتجنب الشبهات والشهوات المهلكات للنفس الإنسانية، وبين قوى النفس الثلاث العقلية والغضبية والشهوية، وبين مخاطر الشيطان على النفس الإنسانية، وكيفية حماية النفس من تلك الآفات.

3) ابن قيم الجوزية: (691-751هـ)

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي . ولد بدمشق في السابع من شهر صفر عام 691هـ . تربي في كنف والده الشيخ الصالح أبو بكر بن أيوب الزرعي . وأخذ العلم من كثير من علماء الشام، وخصوصا شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه التفسير والحديث والفقه والفرائض والأصليين وعلم الكلام ، ولازمه سبعة عشر عاما تقريبا وهو شيخه المفضل والذي يحيل على كلامه في كثير من كتاباته . وكان حسن الخلق لطيف المعاشرة طيب السريرة عالي الهمة واسع الأفق . وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة مستمرا على الأذكار في ليله ونهاره . وكان كثير العلم واسع الاطلاع . وقد امتحن وأوذي مرات عدة ، وحبس مع شيخ الإسلام في سجن القلعة منفردا ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة ابن تيمية . وقد ألف ابن القيم العديد من الكتب بلغ مجموعها 98 كتابا ، ومن أهمها : زاد المعاد في هدى خير العباد . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . إغائة اللفهان من مصاد الشيطان . بدائع الفوائد . طريق الهجرتين وباب السعادتين . مفتاح دار السعادة ومنشور أولية العلم والإرادة . الروح . تحفة المودود في أحكام المولود . إعلام الموقعين

عن رب العالمين وقد تميزت كتابته باعتمادها على نصوص الوحي ، وبتقهم لمقاصد الشريعة وحكمة الأحكام وأسرارها ، وكذلك حسن الأسلوب وجاذبيته .وقد توفي ابن قيم الجوزية وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة 751هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير في دمشق رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وللمسلمين أجمعين .

تحدث ابن قيم الجوزية عن السعادة التي تؤثرها النفوس فقال:

(أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة :

1) سعادة خارجية عن ذات الإنسان بل هي مستعارة له من غيره تزول باسترداد العارية ، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها فبينما المرء بها سعيداً ملحوظاً بالعناية مرموقاً بالأبصار ، إذ أصبح في اليوم الواحد أذل من وتد بقاع يشج رأسه بالفهرواجي ؛ فالسعادة والفرح بهذه كفرح الأفرح بجمة ابن عمه ! والجمال بها كجمال المرء بثيابه وزينته ، فإذا جاوز بصرك كسوته فليس وراء عبادان قرية .

2) ... السعادة الثانية سعادة في جسمه وبدنه ، كصحته واعتدال مزاجه ، وتناسب أعضائه ، وحسن تركيبه ، وصفاء لونه ، وقوة أعضائه ، فهذه ألصق به من الأولى ، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه ، كما قيل :

يا خادم الجسم كي تشقى بخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه ؛ فإن البدن أيضاً عارية للروح وآله لها ومركب من مراكبها فسعادتها بصحته وجماله وحسنه ، سعادة خارجة عن ذاتها وحقيقتها .

3) السعادة الثالثة : هي السعادة الحقيقية ، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية ، وهي سعادة العلم النافع ثمرته فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة أعني : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال . أما : الأولى : فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه . والثانية : فعرضة للزوال والتبدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف ؛ فلا سعادة في الحقيقة إلا في هذه . الثالثة : التي كلما طال عليها الأمد ازدادت قوة وعلوا ، وإذا عدم المال والجاه ، فهي مال العبد وجاهه وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت السعدتان الأولتان وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبحث على طلبها إلا العلم بها ، فعادت السعادة كلها إلى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع)(ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ج1، ص 156-157).

ويقسم القلوب لدى الناس إلى ثلاثة أقسام فيقول:

(القلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكم فيه بما يريد ، وتمكن منه غاية التمكن . والقلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحاً ، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فليشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال . وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة تارة . القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانفشت عنه حجب الشهوات ، وأقلمت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إشراق ، ولذلك الإشراق يقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسما التي حرست بالنجوم ، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق ، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبد الملائكة ، ومستقر الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان ، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو ، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفه)) (ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص 29-30).

ونختم بحديث ابن قيم الجوزية عن النفس وحالاتها الثلاث وردده على من قال أنها ثلاثة أنفس، كما قال بذلك فرويد وغيره، فيقول:

(فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس ، نفس مطمئنة ، ونفس لوامة ، ونفس أمارة ، وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى : ((يا أيها النفس المطمئنة)) وبقوله تعالى : ((لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)) وبقوله تعالى : ((إن النفس لأمارة بالسوء)) . والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأننتها إلى ربها بعبوديته ومحبتة والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه ، فإن سمة محبتة وخوفه ورجاءه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه ، فيستغني بمحبتة عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه ، فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمععه عليه ، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويصير به ويتحرك به ويبطش به ، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى الله ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه ، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى : ((الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)). وأما النفس

اللومة وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله : ((ولا أقسم بالنفس اللوامة))
فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال واحدة . أخذوا اللفظة من
التلوم وهو التردد فهي كثيرة القلب والتلون وهي من أعظم آيات الله فإنها
مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر
والعام والعمر ألواماً كثيرة اللومة نوعان : لومة ملومة ، وهي النفس
الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته . ولومة غير ملومة ، وهي التي لا
تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة
؛ وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللاتمين في
مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله ، وأما من
رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتل في الله ملام اللوام . فهي التي
يلومها الله سبحانه . وأما النفس الأمارة فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل
سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها ، فما تخلص أحد من
شر نفسه إلا بتوفيق الله له كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز : ((وما
أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم))....
فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن خلى الله بين العبد وبين
نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه وأعانه نجاه من
ذلك كله)) (ابن قيم الجوزية، الروح، ص 220-226).

تناول ابن قيم الجوزية أنواع سعادة النفس الثلاثة الخارجية والجسمية
والحقيقية. كما تناول أنواع القلوب لدى الناس ومعها الأنفس وهي ثلاثة: قلب خال
من الإيمان، وقلب فيه إيمان وعلية غشاوة المعصية، وقلب متنون بالإيمان. ثم
تناول الحالات التي تكون عليها النفس الإنسانية عند الإنسانية في مدى قبه وبعده
عن الله، في الأنفس المطمئة، واللومة، والامارة بالسوء.

نجد تشابهاً كبيراً بين كتابات ابن تيمية وابن قيم الجوزية حيث سار التلميذ
على طريقة شيخه في الاعتماد ابتداءً على نصوص الكتاب والسنة ثم البناء على
ما ورد فيهما لتقرير المسائل وإيراد الحجج والرد على الخصوم، كما تميز ابن
قيم الجوزية بدخوله في دراسة النفس الإنسانية بشكل متعمق يعكس علماً واسعاً
ظهرت في كتاباته فاقت في كثير من نواحيها ما هو مطروح حالياً في كتب علم
النفس.

4) محمد قطب: (1919م - معاصر)

محمد قطب إبراهيم الشاذلي، ولد ببلدة (موشا) التابعة لمحافظة أسبوط سنة
1919م بصعيد مصر، بعد وفاة الوالد قررت الأم أن تبعث بولديها "سيد" و"محمد"
إلى القاهرة ليتلقيا تعليمهما هناك، فانتقل "محمد" مع أشقائه "سيد" و"أمينة"
و"حميدة".. وفي القاهرة بدأ دراسته، فأتت المرحلتين الابتدائية والثانوية، ثم التحق
بالجامعة حيث درس الإنجليزية وآدابها في جامعة القاهرة التي تخرج فيها عام

1940م، ثم تابع دراسته بمعهد المعلمين فحصل على دبلومة التربية وعلم النفس. شهدت مرحلة خروج الإخوان من سجون عبد الناصر ما يشبه الهجرة الجماعية من مصر، ولم يكن محمد قطب الذي أفرج عنه في أكتوبر 1971م استثناءً من هذه القاعدة، وقد أصابه ما أصابه، فسافر في أوائل السبعينيات إلى المملكة العربية السعودية، حيث بقي هناك إلى الآن. عمل مدرساً في كلية الشريعة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، ثم في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وقد حاز قطب على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في عام 1408هـ. وفي إطار نقده للمنتوج الفكري والثقافي الغربي حمل قطب مشعل الدعوة إلى أسلمة العلوم والتعامل معها من خلال القيم والأخلاق الإسلامية. له سلسلة طويلة من الكتب والمؤلفات من أبرزها: "جاهلية القرن العشرين"، و"واقعنا المعاصر"، و"كيف نكتب التاريخ الإسلامي"، و"لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة"، و"العلمانيون والإسلام"، و"شبهات حول الإسلام"، و"حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية". يعيش حالياً في ظرف صحي غير مستقر في أحد مستشفيات مدينة جدة جمع الله له بين الأجر والعافية (نقلاً بتصرف عن موقع الشهاب www.chihab.net).

قدم محمد قطب في كتابه (دراسات في النفس الإنسانية) تصوراً إسلامياً عن النفس الإنسانية استمده من نصوص الكتاب والسنة، حيث يورد ثمانية خطوط لتلك النفس، ويذكر لكل منهما الخصائص التالية: متجاوران، ومتضادان، ومترابطان غير متزاحمين، وغير متعارضين وأن تعارضاً لذلك بسبب حملهما على ذلك، وأن النفس تعمل بمجموعها كله دون انفصال أجزاءها. وهذه الخطوط هي: (الخوف والرجاء: خيطان مقابلان من خطوط النفس، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه... يولد الطفل وفيه هذان الاستعدادان متجاورين... الحب والكره: الحب والكره خيطان شديدا العمق في النفس الإنسانية، حتى لبيدو لأول وهلة — كما بدأ فرويد — أنهما الخيطان الأولان في كيان النفس. ولكننا رأينا في الفقرة السابقة ونحن نتدرج مع الطفل منذ مولده، أن خطي الخوف والرجاء أسبق ظهوراً، لأنهما ملتصقان بذات الطفل، قبل أن يعرف الحب والكره، اللذين يربطان بينه وبين عالم خارج عن كيان ذاته... الحسية والمعنوية: هذا الخيطان.. الطاقة الحسية والطاقة المعنوية في الإنسان ينبعان بصورة ظاهرو من حقيقة الجسد والروح التي بنينا عليها ازدواج الطبيعة البشرية... ما تركه الحواس وما لا تدركه الحواس: الإيمان بالمحسوس والإيمان بالغيب. خيطان آخران من الخطوط المتقابلة في النفس البشرية.. أحدهما يؤمن بما تركه حواسه من سمع وبصر ولمس وشم وذوق... والآخر يؤمن بما وراء الحس.. مما لا يرى ولا يسمع ولا يلمس ولا يذاق ولا يشم... وهما خيطان يسيران مقاربين لخطي الحسية والمعنوية.. ولكنهما ليسا هما بالضبط، إنما شبيهان..

فهناك تحدثنا عن (طاقات) حسية ومعنوية ... وهنا نتحدث عن (الإيمان) بالمحسوس و(الإيمان) بالغيب... الواقع والخيال: خطان متقابلان في داخل النفس .. قريبان في ظاهرهما من خطى الحسية والمعنوية، وخطى الإيمان بما تتركه الحواس والإيمان بالغيب .. ومع ذلك فكل من هذه الأزواج الثلاثة ذو كيان متميز... الالتزام والتحرر: في الإنسان ميل للالتزام. ميل لأن يلتزم بأشياء معينة وينفذها ... ومع عمق هذا الميل للالتزام في الطبع البشري، فإن فيه إلى جانب ذلك ميلاً للإحساس بأنه غير ملتزم ! وأنه يؤدي الأشياء لأنه هو يريد أن يؤديها لا لأنها مفروضة عليه... السلبية والإيجابية: خطان متقابلان في النفس قريبا الشبه بخطى الالتزام والتحرر .. ولكنهما لا يتطابقان... والأقرب إلى الظن أن تكون السلبية ناشئة من حقيقة الجسد، والإيجابية ناشئة من حقيقة الروح. فقبضة الطين سلبية تخضع للقوانين المادية خضوعاً كاملاً - إلا ما شاء الله - و لا تملك التغيير و لا تفكر فيه. ونفخة الروح إيجابية .. فهي نفخة من روح الخالق المنشئ المدبر المبدع المريد... الفردية والجماعية: هذا الخطان من أخطر الخطوط في حياة البشرية. فعليهما - في صورتها الصحيحة أو المنحرفة - تقوم نظم الحياة كلها، صالحها أو فاسدها، وعلاقات الحياة كلها، سويها أو منحرفها، وسلوك الأفراد والجماعات(قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ص 150-71).

ويبين محمد قطب منظور الإسلام للإنسان بصورة متميزة فيقول:

(أهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، لا يحاول أن يفسره على ما ليس من طبيعته، كما تصنع النظم المثالية، وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع، وبين المثل العليا التي يرسما له. الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان. وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر. ولكنه في حالته الطبيعية شئ بين هذا وذاك. مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر. وليس أي من العنصرين غريباً على طبيعته، ولا مفروضاً عليه من خارج نفسه)(قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص69).

ونختم بكلام محمد قطب عن فطرة الإنسان حيث يقول:

(مقياس الفطرة الثابت في التطور النفسي هو النمو الدائم نحو النضوج والتكامل والشمول والتوازن. فكل فرد أو جيل يتجه نحو هذا اللون من النمو فهو سليم الفطرة سائر في الطريق الصحيح. وكل فرد أو جيل يثبت على درجة معينة من النمو - متخلفة - أو يتقدم ببعض جوانب نفسه ويتأخر ببعض، أو يفقد توازنه، فهو منحرف الفطرة في حاجة إلى علاج(قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، ص 146)

نجد لدى محمد قطب طروحات يمكن لكل متخصص نفسي أن يأخذها ويقدمها في أي محفل نفسي معاصر يدور الحوار فيه عن الإنسان والنفس الإنسانية، فيجد فيما كتبه تحليلات عميقة للنفس البشرية مقارنة بما لدى بعض علماء النفس الغربيين، مبنية على أسس متينة من الكتاب والسنة.

خلاصة

من خلال النماذج التي تم عرضها قد لا نستطيع تقديم صورة كاملة الملامح لنظرة علماء النفس المسلمين للنفس الإنسانية، لأن ذلك يحتاج مساحة أكبر نستطيع من خلالها عرض نماذج أكثر وتفصيلات أوسع تعكس الصورة بشكل قريب من ما قدموها في طروحاتهم، ولكن نظراً لمحدودية الصفحات المتاحة لهذا الورقة البحثية، ولضيق الوقت، نرجو أن نكون وفقنا في اختيار النماذج التي تعطي لمحات عن تصور هؤلاء العلماء للنفس الإنسان، وربما أمكننا أن نلخص ملامح هذا التصور في النقاط التالية:

(1) أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق.

(2) أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.

(3) إن النفس الإنسانية لديها الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفضولة على فطرة الخير المركوزة في الجبلة الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوَالِدِينَ وَالشَّيْطَانَ ورفاق السوء.

(4) العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق بالإنسان والنفس الإنسانية وقوى النفس، ثم يضيفون ما يقدمه لهم الوحي من معارف توسع أفق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر قرباً من واقع الإنسان والنفس الإنسانية.

المقارنة بين الخلاصتين

لا شك أنه تبين للقارئ الفروقات الواضحة بين تناول علماء النفس الغربيين وعلماء النفس المسلمين للنفس الإنسانية، ولعل من أهمها:

1- يركز الغربيون على الجوانب المادية للنفس الإنسانية وإشباعها. و لا يعطون الجوانب الروحية حقها في الإشباع.

2- يتميز العلماء المسلمون باعطاء النفس الإنسانية حقها في الإشباع الحيوي المادي، وكذلك الإشباع الروحي الذي لا بد لها منه حتى تستقر حياتها، ويحدث التوازن اللازم في تحقيق إشباع الجانبين المادي والروحي.

- 1- يغفل العلماء الغربيون في تعاملهم مع النفس الإنسانية عن جوانب الآخرة وبركزون على الأمور الدنيوية.
 - 2- يحرص العلماء المسلمون على الجوانب الدنيوية في النفس الإنسانية لكنهم يؤكدون أهمية الجوانب الآخروية وضرورتها لحياة الإنسان.
 - 3- تبرز الغرائز الإنسانية الدنيا في طرح معظم الباحثين الغربيين، ويقل الاهتمام بالجوانب العليا في الإنسان.
 - 4- يحرص العلماء المسلمون على أهمية الجوانب والقيم العليا للإنسان وأنها يجب أن تأخذ الجهد الأكبر من حرص العلماء، مع عدم أغفالهم لأهمية الجوانب العضوية لأنه دين الإسلام دين التوازن بين كل جوانب الإنسان، قال الله تعالى ((وابتغى فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغى الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين)) (القصص: 77).
- ولا شك أن هذا الموضوع يحتاج لمزيد من التناول والشرح، ولكن هذا ما تيسر كتابته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يزم الدين.

المراجع

- 1) فرويد، سجموند، الأنا والهوى، ترجمة محمد عثمان نجاتي، بيروت: دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1982م.
- 2) فرويد، سجموند، معالم التحليل النفسي، ترجمة محمد عثمان نجاتي، بيروت: دار الشروق، الطبعة السادسة، 1986م.
- 3) Jung, C.G., The Collected Works, Psychology and Religion : West and East, Volume Eleven, Second Edition, London, Routledge & Kegan Paul, p.5. 1981.
- 4) الحفني، عبدالمنعم، موسوعة علم النفس، القاهرة: مكتبة مدبولي، ب.ت.
- 5) سيفرين، فرانك، علم النفس الإنساني، القاهرة، مكتبة الأجلو المصرية، 1978م.
- 6) دافيدوف، لندا، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب، ومحمود عمر، ونجيب خزام، مراجعة: فؤاد أبو حطب، الرياض: دار المريخ للنشر، 1980م.
- 7) الغزالي، أبوحامد محمد، إحياء علوم الدين، خمسة أجزاء، بيروت: دارالمعرفة، ب.ت.
- 8) العثمان، عبدالكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط2، القاهرة: دار غريب للطباعة، 1401هـ.
- 9) أبن تيمية، أحمد، تزكية النفس، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط2، القاهرة: مكتبة السنة، 1416هـ.
- 10) أبن تيمية، أحمد، الحسنة والسيئة، تقديم محمد جميل غازي، جدة: دار المدني، 1406هـ.
- 11) أبن تيمية، أحمد، التحفة العراقية في أعمال القلوب، تحقيق سليمان مسلم الحرشي، الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1407هـ.

- (12) ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، 37 مجلد، ب.ت.
- (13) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية العلم والإرادة، جزاءن، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1418هـ.
- (14) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الواابل الصيب من الكلم الطيب، دمشق: دار البيان، ب.ت.
- (15) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ثلاثة أجزاء، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ.
- (16) قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ط5، بيروت: دار الشروق، 1401هـ.
- (17) قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، ط9، بيروت: دار الشروق، 1408هـ.
- (18) قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، ط7، بيروت: دار الشروق، 1408هـ.

مقالات

مختارات شبكة العلوم النفسية العربية

مقتطفات

النفس الإنسانية هي محرك
الإنسان ودافعه نحو العمل
والسلوك أن خيراً فخير وإن
شراً فشر.

لما انحرف الناس عن
تعاليم الأديان بدأ البشر
يرسمون للنفس ملامح تختص
بمحاولة معرفتها اعتماداً
على الجهد البشر المنقطع
على الهدى الرباني.

جاءت رسالة الإسلام الخاتمة
للرسالات حيث حوت كل
ما يحتاجه الإنسان لحياته
الدنيا وما يسعده في آخرته

كان لعلماء التراث الإسلامي
دور مهم في تناول النفس
الإنسانية وكيفية التعرف
عليها وأحوالها والتعامل معها
في جميع حالاتها السوية وغير
السوية.

اختار الباحث ثلاثة من علماء
النفس وهم: سجموند فرويد
(Sigmund Freud) وكارل
يونج (Carl Jung) وإبراهام
ماسلو (Abraham Maslow).
ومن علماء المسلمين تم اختيار
كل من: أبو حامد الغزالي
(505هـ)، وابن تيمية (728هـ)،
وإبن قيم الجوزية (751هـ)،
ومحمد قطب.

الأنا: وهو الجانب الشعوري المباشر للحياة الواقعية، وهو مرتبط بالهو ويسعد الهو للأشباع من خلال الأنا، ولكن لا يتحقق له ذلك فتحصل حالة الكبت التي يتسبب بها المركب الثالث.

الأنا الأعلى: وهو مستوحى يأتي من سلطة الوالدين والعادات والتقاليد التي تصارع ما يأتي من الهو في مستوحى الأنا، ويتحقق لها النصر فتحدث حالة الكبت.

وهذا التركيب الثلاثي المتصارع للنفس لم تقم الأدلة العلمية عليه، ولذا لم يقبله كثير من علماء النفس من عصر فرويد إلح يومنا الحاضر.

ومن ذلك ما يمكن أن يفيد في ما يتعلق بالنفس الإنسانية.

لقد كان لعلماء المسلمين دور مهم في تناول النفس الإنسانية وكيفية التعرف عليها وأحوالها والتعامل معها في جميع حالاتها السوية وغير السوية.

ويلعب الإدراك الحسي في الأنا نفس الدور الذي تلعبه الخريزة في الهو. ويمثل الأنا ما نسميه الحكمة وسلامة العقل، على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات.

الهو: وهو مركز الغرائز في الإنسان، كالجنس والعدوان، وتحتاج تدفع طلباً للأشباع دون مراعاة للموانع من عادات وتقاليد وقيم وغيرها.

واللاشعور الجمعي بوصفه الأساس العنصري الموروث يقوم عليه البناء النفسي كله، وهو خبرات الأجيال وحكمة القرون، ويستقي منه الأنا ويصدر عنه، فإذا حدث أن انقطع ما بينهما اضطرب الأنا واضطربت بالتالي كل العمليات الشعورية فتكون الهذاعات والهواجس

الذات هي كمال الشخصية، وهي أعلى مراتب الوجود النفسي، ولا يبلغها الفرد إلا بعد أن تنمو كل نواحي نفسه نمواً متكامل به الذات، وعندئذ ينتقل مركز الشخصية من الأنا إلى الذات. (الحنفي، ب.ت، ص413-417).

لا يلزم بأن نحول كل ما ندرسه إلى جانب حسي بل لدى الإنسان قدرة على فهم وتناول ما هو غير حسي ومعنوي، وبهذا نستطيع أن نقرب كثيراً من دراسة الإنسان من خلال تلك القدرة التي وهبها الله سبحانه وتعالى لنا.

إنه لو اوضح في أحد علم نفس يمس البناء النفسي للشخصية الإنسانية لا يمكنه إغفال حقيقة أن الدين ليس فقط ظاهرة نفسية اجتماعية تاريخية ، ولكنه كذلك يعتبر شيئاً مهماً للذات الشخصية لعدد كبير جداً من الناس (Jung, P.5, 1981).

اللاشعور الجمعي بمثابة استعدادات نتهياً بها للتجاوب مع العالم ومواقفه

التي تسمو بروح الإنسان
في دنياه شوقاً إلى آخرته

أكد يونج على مفهوم
الذات وأنها مرحلة اكتمال
نمو النفس الإنسانية. وأكد
على أهمية الدين للذات
الإنسانية.

(القلب يشير إلى أعمق
الأفكار وأبعد ما غوراً في
طبيعة الإنسان وهو المسئول
تجاه الله وهو الذي
يخاطب ويحاسب، وتبدو
الشهوات غريبة عن هذا
القلب، وعلاقته بالقلب
الجسماني علاقة معنوية لا
مادية). (أبو حامد الغزالي)

ففي المستويات الأعمق
لدى الناس يبدو في
تشابه أكثر مما يختلفون. ولذا
إذا استطاع الفرد أن يصل
إلى هذه الأعماق داخل
نفسه، عادة بمساعدة
المعالج، يكشف ليس ذاته
فحسب ولكن أيضاً الروح
الإنسانية الكاملة

والنفس مرتبطة بالتنفس
وبالذات والشهوات
الدنيوية وتكون على ثلاثة
أحوال: مطمئنة أو لوامة أو
أمارة.

ويبدو من طرح ماسلو
تركيزه على الحاجات
الإنسانية التي لا بد لهم
منها، ولكنها في الحقيقة
تقف على إشباع الأمور
الدنيوية في حياة الإنسان، ولا
ترتقي بنفسه إلى ما هو
أعلى من أمور الدنيا، وهي
أمور الآخرة والأعمال الروحية

((ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)) (ابن تيمية، التحفة العنقاوية في أعمال القلوب، ص 3130).

(إن قوا الأفعال في النفس إما جذب وإما دفع ، فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة وجنسها : من المحبة والإرادة ونحو ذلك ، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها : من البغض والكراهة (أبن تيمية) ،

(والقلوب فيها وسواس النفس ، والشيطان يأمر بالشهوات والشبهات ما يفسد عليه طيب عيشها ، فمن كان محبا لغير الله فهو معذب في الدنيا والآخرة ؛ إن نال مراده عذب به ؛ وإن لم ينله فهو في العذاب والحسرة والحزن(مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد 28، ص 3231).

بحسب للغزالج الدخول في تفاصيل تسعد للتعرف على مكونات هذه النفس ودور العبادات والعادات في تزكيتها، ومكارم النفس الإنسانية كالعدل والإحسان من خلال نصوص القرآن الكريم. وكذلك وضع التأكيد على البعد الآخر وأثره على الإنسان والنفس الإنسانية

السعيد يسعد بالأعمال الصالحة ، والشقي يشقى بالأعمال السيئة ، فمن كان سعيدا ييسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة ؛ ومن كان شقيا ييسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة

وكلاهما ميسر لما خلق له ، وهو ما يصير إليه من مشيئة الله العظمة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى :

الفاستد في القلب ، ومن ذكر الله تعال: تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم (مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد 4، ص 34).

تميز تناول ابن تيمية للنفس الإنسانية بالتركيز على الإيمان ومعرفة الحق وتجنب الشبهات والشهوات المهلكات للنفس الإنسانية، وبين قوى النفس الثلاث العقلية والغضبية والشهوية، وبين مخاطر الشيطان على النفس الإنسانية، وكيفية حماية النفس من تلك الأفات.

هي السعادة الحقيقية ، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية ، وهي سعادة العلم النافع ثمرته فإنها هي الباقية على قلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره

(إن إخلاص الدين لله : يمنع من تسلط الشيطان ، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب . كما قال تعال: ((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . إنه من عبادنا المخلصين)) (يوسف : 24)

وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه . عوقب على ذلك ، وكان من عقابه : تسلط الشيطان عليه ، حتى يزين له فعل السيئات ، وكان إلهامه لفجوره : عقوبة له على كونه لم يتق الله (ابن تيمية، الحسنة والسيئة، ص 77).

(والشيطان وسواس خناس ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، فإذا غفل عن ذكره وسوس ، فلهذا كان ترك ذكر الله سبباً ومبدأً لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة

قلب المؤمن مستقر التوحيد
 والمحبة والمعرفة والإيمان ،
 وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن
 يحرس ويحفظ من كيد
 العدو ، فلا ينال منه شيئاً
 إلا خطفه) (ابن قيم الجوزية،
 الوابل الصيب من الكلم
 الطيب، ص 30.29).

والتحقيق أنها نفس واحدة
 ولكن لها صفات فتسمك
 باعتبار كل صفة باسم
 فتسمك مطمئنة باعتبار
 طمأنينتها إلى ربها
 بعبوديته ومحبته والإنابة
 إليه والتوكل عليه والرضا
 به والسكون إليه (أبن قيم
 الجوزية)

ولا يمكن حصول الطمأنينة
 الحقيقية إلا بالله وبذكره
 وهو كلامه الذي أنزله
 على رسوله كما قال
 تعالى : ((الذين آمنوا

وفجد دوره الثلاثة أعني :
 دار الدنيا ، ودار البرزخ ،
 ودار القرار ، وبها يترقى
 في معارج الفضل ودرجات
 الكمال (ابن قيم الجوزية،
 مفتاح دار السعادة، ج1،
 ص 156.157).

(القلوب ثلاثة : قلب خال من
 الإيمان وجميع الخير ، فذلك
 قلب مظلم قد استراح
 الشيطان من إلقاء الوسوس
 إليه ، لأنه قد اتخذ بيتاً
 ووطناً ، وتحكم فيه بما يريد
 ، وتمكن منه غاية التمكن .

القلب الثالث : قلب محشو
 بالإيمان قد استنار بنور
 الإيمان ، وانقشعت عنه حجب
 الشهوات ، وأقلعت عنه تلك
 الظلمات ، فلنوره في
 صدره إشراق ، ولذلك
 الإشراق إيقاد لو دنا منه
 الوسواس احترق به

يوجب سيئات الأعمال فإن
 خلق الله بين العبد وبين
 نفسه هلك بين شرها وما
 تقتضيه من سيئات الأعمال ،
 وإن وفقه وأعانه بخاء من
 ذلك كله) (ابن قيم
 الجوزية، الروح، ص
 226.220).

تناول ابن قيم الجوزية أنواع
 القلوب لحدك الناس ومعها
 الأنفس وهي ثلاثة: قلب خال
 من الإيمان، وقلب فيه إيمان
 وعليه غشاوة المعصية، وقلب
 منتور بالإيمان

تميز ابن قيم الجوزية
 بدخوله في دراسة النفس
 الإنسانية بشكل متعمق
 يعكس علماً واسعاً ظهرت
 في كتاباته فاقته في
 كثير من نواحيها ما هو
 مطروح حالياً في كتب
 علم النفس.

وتطمئن قلوبهم بذكر الله
 ألا بذكر الله تطمئن
 القلوب)). (ابن قيم الجوزية

وأشرف النفوس من لامت
 نفسها في طاعة الله
 واحتملت ملام اللاتمين في
 مرضاته فلا تأخذها فيه لومة
 لائم فهذه قد تخلصت من
 لوم الله ، وأما من رضيت
 بأعمالها ولم تلم نفسها ولم
 تحتمل في الله ملام اللوام .
 فهي التي يلومها الله
 سبحانه (ابن قيم الجوزية

فما تخلص أحد من شر نفسه
 إلا بتوفيق الله له كما قال
 تعال كحاكياً عن امرأة
 العزيز : ((وما أبرح نفسي
 إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما
 رحم ربي إن ربي غفور
 رحيم)).... فالشر كما من في
 النفس وهو

الإنسان في نظر الإسلام
كائن لا هو بالملك ولا
بالحيوان. وإن كان قادراً
في بعض حالات الهبوط
أن يصبح أسوأ من الحيوان،
وفي بعض حالات الارتفاع
أن يسمو بروحه إلى
مستوى الملائكة من الطهر
(قطب، الإنسان بين
المادية والإسلام، ص69).

(مقياس الفطرة الثابت في
التطور النفسي هو النمو
الدائم نحو النضوج
والتكامل والشمول والتوازن.
فكل فرد أو جيل يتجه نحو
هذا اللون من النمو فهو
سليم الفطرة سائر في
الطريق الصحيح. وكل فرد
أو جيل يثبت على درجة
معينة من النمو - متخلفة - أو
يتقدم ببعض جوانب نفسه
ويتأخر ببعض، أو يفقد
توازنه، فهو منحرف الفطرة
في حاجة إلى علاج.)
قطب، التطور والثبات في
حياة البشرية، ص 146).

قدم محمد قطب في
كتابه (دراسات في النفس
الإنسانية) تصوراً إسلامياً عن
النفس الإنسانية أستمدته من
نصوص الكتاب والسنة ،
حيث يورد ثمانية خطوط
لتلك النفس،

(أهم ما يتميز به الإسلام أنه
يأخذ الكائن البشري على
ما هو عليه، لا يحاول أن يفسره
على ما ليس من طبيعته،
كما تصنع النظم المثالية،
وإن كان في الوقت ذاته
يعمد إلى تهذيب هذه
الطبيعة إلى آخر مدد
مستطاع، دون أن يكبت
شيئاً من النوازع الفطرية، أو
يمزق الفرد بين الضغط
الواقع عليه من هذه النوازع،
وبين المثل العليا التي يرسمها
له.) قطب، الإنسان بين
المادية والإسلام، ص69).

يركز الغربيون على
الجوانب المادية للنفس
الإنسانية وأشباعها. و لا
يغطون الجوانب الروحية
حقها في الاشباع.

يتميز العلماء المسلمون
بإعطاء النفس الإنسانية
حقها في الاشباع الحيوي
المادي، وكذلك الاشباع
الروحي الذي لا بد لها
منه حتى تستقر حياتها،
ويحدث التوازن اللازم في
تحقيق اشباع الجانبين
المادي والروحي.

يغفل العلماء الغربيون في
تعاملهم مع النفس
الإنسانية عن جوانب الآخرة
وبركوزون على الأمور
الدنيوية.

أن الإنسان مخلوق من عنصرين
هما المادة (التراب) والروح.
وهما يحتاجان إلى ما
يشبههما، فالمادة تحتاج
لحاجات الجسدية من غذاء
وجنس وراحة وما يدخل فيها،
وكذلك الروح تحتاج إلى
إشباع عن طريق ما يأتي به
الدين من عبادات وأخلاق.

أن مصادر المعرفة للإنسان
تبدأ بالحواس ثم العقل ثم
الوحي، ويكون الوحي هو
المعيار لما يقبل ويرفض من
المصدرين السابقين.

إن النفس الإنسانية لديها
الاستعداد للخير والشر،
ولكنها مفضولة على فطرة
الخير المركوزة في الجبلة
الإنسانية، ما لم يأتي ما
يحرفها عن فطرتها من عوامل
خارجية كالوالدين والشيطان
ورفاق السوء.

تبرز الغرائز الإنسانية
الدنيا في طرح معظم
الباحثين الغربيين، ويقل
الاهتمام بالجوانب العليا
في الإنسان.

يحرص العلماء المسلمون على
الجانب الدنيوية في النفس
الإنسانية لكنهم يؤكدون
أهمية الجوانب الآخروية
وضرورتها لحياة الإنسان.

لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي: العدد 5



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2013

أ.د. صالح إبراهيم الصنيع

▪ تاريخ الميلاد: 1959/1/11م

▪ الاختصاص: علم النفس



- الاهتمامات العلمية:
- موضوعات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، علم النفس الجنائي وتطبيقاته، علم النفس التربوي وتطبيقاته، مشكلات الشباب في عصرنا الحاضر.
- الممارسات المهنية:
- التدريس في المستويين الجامعي والدراسات العليا.
- الإشراف العلمي على طلاب وطالبات الدراسات العليا في إعداد الوسائل العلمية.
- الإشراف الميداني في المقررات الميدانية التطبيقية في المستويين الجامعي والدراسات العليا.
- التكريم العلمي للبحوث المقدمة للدرجات العلمية إلى المؤسسات العلمية السعودية.
- التكريم العلمي للترقيات لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية والعربية.
- الاستشارات النفسية لعدد من المواقع النفسية على الانترنت، وكذلك في وسائل الإعلام المختلفة الورقية والأذاعية والفضائية.
- المشاركة في المؤسسات المهنية النفسية داخل المملكة وخارجها.
- المؤلفات :
- التدين علاج الجريمة ، المجلس العلمي ، جامعة الإمام ، 1414هـ .
- التدين علاج الجريمة الطبعة الثانية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1419 هـ .
- دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، عالم الكتب ، الرياض ، 1416هـ .
- دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، عالم الكتب ، الرياض ، ط 2 ، 1420هـ .
- التدين والصحة النفسية ، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام ، 1421هـ .
- التدين والصحة النفسية ، الطبعة الثانية (صدر بعنوان الصحة النفسية من منظور إسلامي، الرياض: دار الفضيحة، 1426هـ.
- التفكك الأسري، الأسباب.. والطول المقترحة، (مؤلف مشترك) كتاب الأمة، العدد83، السنة الحادية والعشرون، جمادى الأولى 1422هـ.
- دراسات في علم النفس من منظور إسلامي، الرياض، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى 1423هـ.
- المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، الرياض: مكتبة الرشد، 1428هـ.
- المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، الرياض: مكتبة الرشد، ط2، 1434هـ.
- دراسات في علم النفس من منظور تأصيلي، الرياض، دار عالم الكتب، 1432هـ .
- علم نفس الإرهاب، الرياض: مكتبة الرشد،(تحت الطبع) 1435هـ.

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2013

